5. فيصل الأول في الثورة العربية الكبرى

Faisal I's role in the Great Arab Revolt

بقلم: محمد جواد عزيز صفي

طالب دكتوراه جامعة بيروت العربية / تاريخ حديث ومعاصر

mohamad jawad aziz safi

Doctoral student at Beirut Arab University / modern and contemporary history

mohammedjawad751@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/5/4 تاريخ الاستلام: 2024/4/24

تحت اشراف:

المشرف الرئيس: أ.د راما عزيز دراز

والمشرف المساعد: أ.د محمد علي القوزي

الملخّص:

يتناول هذا البحث دور فيصل الأول في الثورة العربية الكبرى، من خلال تبيان استراتيجيته المفعّلة إبّان تعاطيه مع القيادات العثمانية وبشكل خاص جمال باشا، كما ترسيم الخط العام لدوره العملي العسكري الذي قاد من خلاله الفرقة العربية المتقدّمة

لجهة الشمال، حتى لحظة النصر النهائي. ويفصّل البحث المؤازرة البريطانية للثورة العربية ولفيصل تحديدًا من خلال لورانس الذي جنّد دعم الإنكليز ناحية الصف العربي الفيصلي. وينتهي البحث إلى تحليل تبعات الثورة واختلاف الآراء حولها.

مقدمة:

سعى فيصل الأول بكل ما أوتي من جهد وعزيمة إلى التجهيز والإعداد للثورة العربية الكبرى، عبر تحرّكات تنقّل من خلالها بين إسطنبول، ودمشق، حتى الحجاز هادفًا إلى التقرّب من الحراك القومي العربي تارة، والتعاطي بدهاء مع القيادات العثمانية تارة أخرى، والتباحث مع والده في الحجاز بشأن تطورات الوقائع الميدانية والإقليمية طورًا. ريثما تحين ساعة الحسم التي اندلع على أثرها فتيل الثورة العربية الكبرى حين وُجب على فيصل إثبات دوره القيادي في الشق العملي بالتعاون مع الجانب البريطاني، الذي دعّم موقف فيصل العسكري، وآزره في معاركه التي انتهت بانتصار دخل على أثره إلى دمشق محرّرًا.

أولًا: فيصل الأول معدًّا ومحضّرًا للثورة العربية

1. تحرّكات مكوكية لفيصل فعّل خلالها دبلوماسيته في التعاطي بازدواجية إبّان تقرّبه من الرؤى القومية من جهة واستماعه لمطالب الاتحاديين القائلة بانضمامه وأبيه إلى خط الدفاع عن حكمهم من جهة أخرى

توجّه فيصل الأول إلى دمشق التي حطّ فيها الرحال في نهاية شهر أيار (مايو) عام 1915، ولقي حفاوة في استقبال جمال باشا له، وذلك نزولًا عند توجيهات إدارته العليا. وريثما كان فيصل في دمشق، التقى بقيادات الحركة العربية في جو مشحون برياح ثورية، تلقّفها فيصل الأول الذي عرض عليه القوميون العرب ضرورة التعجّل في إعلان الثورة، مؤكدين التزامهم التام بخطاها، إذا ما قبلت المملكة المتحدة باستقلال العرب في الحدود التي رسمها ميثاق دمشق(**موسى، 1986، ص 133**).

من ناحيته، عمل فيصل الأول على تشديد عُرى التلاقي بينه وبين قادة الحراك العربي القومي بُعيد تلبيته دعوة لحضور اجتماع للجمعية العربية الفتاة الشاهد على إدلائه قسم الإخلاص للجمعية ونهجها المفعم بالقومية الذي دعا من خلاله الحاضرون فيصل إلى

رفع القضية العربية عالميًا دفاعًا عن حقوق العرب وحرياتهم. من جهته، أكّد فيصل على التقارب القائم بينه وبين غايات الجمعية وأهدافها وما لقيه في هذا المضمار من تحفيز أيّده به والده الحسين. وأتبع فيصل انضواءه في الجمعية بوهبه مبلغًا من المال، قدره ألفي ليرة ذهبية اقتطعها ممّا منحته له الإدارة العثمانية. ولم يكتفِ فيصل الأول بذلك القدر، إذ عمد إلى لقاء جمعية العهد السرية بأعضائها المحتويين على جموع الضباط العرب داخل القوات المسلحة العثمانية. حينها تراءى لفيصل مدى التقارب الواضح بين أهداف وغايات كل من الجمعيتين(**أنطونيوس، 1987، ص245**).

تلت زيارة فيصل إلى دمشق، توجّه الأخير إلى الأستانة لملاقاة كبار البيت الحاكم، الذين دعوا الأمير فيصل إلى ضرورة التعاون والأتراك في حال نشوب القتال. ليعود بعدها الأمير فيصل للقاء جمال باشا، الذي استقبله وفقًا لأوامر قيادته في مسعى للتأثير على فيصل، ودفعه للعمل بحسب تعليمات الإدارة العثمانية، فيما يتعلق بمشاركة الشريف حسين في الحرب إلى جانبها دعمًا ومساندةً(**الراوي، 1969، ص 54 – 56**).

وهكذا، أظهرت الأحداث وتطورات الوقائع السياسية الوجهة التي تبنّاها فيصل عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، بثنائية المقاصد التي اتجه صوبها، متقرّبًا من الاتحاديين، واعدًا إيّاهم بتقديم عونه، ودعم والده لهم، في الوقت الذي لم يتوانَ فيه عن تفعيل العمل السري للإطاحة بهم والثورة على حكمهم(**دي غوري، 1983، ص43**).

2. فيصل يفعّل محاولاته لإطلاق سراح الدفعة الثانية من القوميين العرب ويتعاطى بحنكة مع جمال باشا عشية اندلاع الثورة العربية الكبرى

ما إن احتجُزت الدفعة الثانية من العروبيين حتى أجّج فيصل محاولاته لتحريرهم، والتي أُعقبت بمساعي مماثلة أوفدها والده سائلًا الإدارة العثمانية فك أسر المحتجزين، والتأكيد على استقلال حكم الشريف حسين في الحجاز من تبوك إلى مكّة بصورة وراثية. الأمر الذي لاقى امتعاضًا عثمانيًا، وتساؤلًا طرحه أنور باشا حول صحّة نوايا الشريف حسين الاستقلالية على مسامع ولده فيصل الأول، الذي حاول تبرئة أبيه ملقيًا اللوم على عملية الترجمة من اللغة العربية إلى التركية. وعلى كل حال، فقد عبّر الجانب العثماني عن رفضه القاطع لمطالب الشريف حسين. خلال مرحلة كثّف فيها فيصل جهوده الرامية إلى تحرير الموقوفين في عاليه من حبل المشنقة، لكن وساطته قد باءت بالفشل(**جمال**

باشا السفاح، 1963، ص 336 – 339).

لم يكن قد مرّ أيام على تنفيذ حكم الإعدام – الذي تمّ بتاريخ 6 أيار (مايو) عام 1916–، حتى وصلت إلى فيصل أنباء من أبيه تطلب منه العودة إلى الحجاز. إذ أيقن فيصل بذلك أن رياح الثورة قد هبّت فعلًا. وعليه، سعى الأمير إلى الانسحاب من دمشق، حذرًا من أن يثير شكوك جمال باشا حوله. لا سيّما وأن الأخير قد رفع صوت التهديد والوعيد، الذي أُطلق على مسامع فيصل نفسه داعيًا إياه إلى الحرص، مؤكدًا بأن الحساب سيلحق بالباقين. الأمر الذي فهمه فيصل بأن الطوق سيلتفّ حول عنقه، وعنق والده، وآل بيته فيما بعد. حينها حاول فيصل أن يعتمد أسلوب النأي بالنفس مراوغًا جمال باشا بقوله: «دعني أذهب إلى المدينة لأهيئ حملة عسكرية أكون على رأسها لتساهم في القتال مع الحملة التي ستتوجه إلى قناة مصر». ممّا يعني أن عودته إلى الحجاز لا بد منها للإشراف على التجهيزات الخاصة بسرب المتطوعين العرب القادمين إلى الشام دعمًا للعثمانيين((**جمال باشا السفاح، 1963، ص 245**).

انطلاقًا ممّا تقدّم، خلّف فيصل دمشق وراءه عائدًا إلى الحجاز بتاريخ 16 أيار (مايو) عام 1916(**بن الحسين، 1947، ص 144**) لملاقاة والده والوقوف عند تطوّرات الأحداث وضرورة العمل على تهيئة الأوضاع لإطلاق الثورة خلاصًا من تزمّت الحكم الاتحادي القائم(**الراوي، 1969، ص 67**).

ثانيًا: دور فيصل الأول في خضمّ الثورة العربية الكبرى ومعاركها المحتدمة

1. في مسبّبات الثورة

تعدّدت المسبّبات التي دفعت بالشريف حسين إلى الابتعاد عن المظلّة العثمانية، والتقرّب من الإنكليز رافعًا راية الثورة، وكان منها ما اشتمل على بُعد شخصي، وآخر إقليمي، وحتى اقتصادي، وفقًا لِما يلي:

- **البُعد الشخصي:** والذي يتحدّد بشخص الشريف حسين حصرًا، وما جال في ذهنه من استنتاجات حول السياسة العثمانية، التي وجد فيها محاولة لسحب بساط الحكم من تحت قدميه، غداة تبديلهم للوالي العثماني الذي نازع الشريف حسين في قيادته، بعد أن مُنح صلاحيات واسعة في الإدارة. ممّا سعّر مخاوف الشريف حسين من

الإدارة العثمانية، بعد أن استشعر غاية قيادات الدولة الرامية إلى إقصائه وأولاده عن كرسي الحكم كما أنهم يتوانوا عن احتجازهم أيضًا إذا اضُطّر الأمر(**قلعجي، 1994، ص 125**).

- **البُعد الإقليمي:** شهد المشرق العربي تسلّل توجهات فكرية ساهمت في تبلور الوعي السياسي للأمة العربية، على قاعدة تفتح الاتجاهات القومية العربية، وذلك بدءًا من نهاية القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين. حين اتجهت حركة تركيا الفتاة([1]) إلى إطلاق جملة من المطالب الإصلاحية الداعية إلى تأليف نظام حكم أساسه الدستور، وعماده مجلس نيابي قادر على تحقيق المساواة، وتقييد صلاحيات السلطان العثماني(**سعيد، د.ت، مج 1، ص 126**). إذ تركت تلك التحوّلات آثارها في الولايات العربية المشرقية، التي أخذت ترفع الصوت الداعي إلى تطبيق تبديلات سياسية قادرة على تحسين الأوضاع الداخلية، بما عرفته من تشكّل لجمعيات سرية، وأخرى علنية، تمّ تأليفها لتحقيق الأهداف العربية القائمة على أساس الإصلاح، كخطوة أولية موصلة إلى المطالبة الأخيرة بانتزاع الاستقلال والحرية.

كما لا بد من التأكيد على أن الثورة العربية قد جاءت كرد فعل عربي على سياسة الاتحاديين الجائرة إزاء العرب، والتي شدّدوا فيها على تطبيق منحى التتريك([2])، وفرض الخدمة الإجبارية على أبنائهم، وإدخالهم في معمعان حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وكتم أنفاس حريتهم، وقوميتهم. ممّا دفعهم إلى الاستبسال في الدفاع عنها، مع مطالبتهم بالتعاطي بمساواة دون جدوى. فقد واصل قادة الحكم بعد انقلاب عام 1908 في سياستهم، التي استبدّوا فيها بتعاملهم مع الشباب العربي، ولم يتوانوا عن إطلاق أحكام الإعدام بحق كل وطني عربي، أُلصقت فيه تهم التواطؤ مع جهات أجنبية غداة وصول جمال باشا إلى كرسي الولاية في سوريا. فقد تمادى الأخير في إنزال أقسى العقوبات ومنها الإعدام بحق جموع الأحرار العرب، وسط هيجان ورفض شعبي عاينه فيصل الأول، وترك في نفسه أثرًا دامغًا، خلال مرحلة اتجهت فيها أنظار الحراك الوطني

1 **حركة تركيا الفتاة:** هو حراك إصلاحي سياسي تأسس مطلع القرن العشرين هدفت إلى التخلّص من الحكم المطلق للسلطنة وإنشاء حكم دستوري بدلًا منه. قامت بانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908 وأدخلت البلاد في أعقاب ذلك في مرحلة قوامها الديموقراطية وتعدّد الأحزاب السياسية. (**الكيالي، 1994، ج 1، ص 711**).

2 **التتريك:** هو مسار هادف إلى تحويل الثقافات الأصلية للأفراد إلى التركية كرهًا أو قسرًا. (**الكيالي، 1994، ج 1، ص 711 – 712**).

السوري نحو الحجاز، كي يتبنّى الثورة ويسارع في إعلانها بزعامة الشريف حسين(**برو، 1989، 346 – 347**) .

البُعد الاقتصادي: خلّفت الحرب العالمية الأولى تداعيات اقتصادية على واقع الحجاز، المعتمد في مدخوله الأساسي على واردات الحج الذي توقف إبّان المعارك. بالتزامن مع ما فُرض على الأقاليم الحجازية من حصار اقتصادي، تمثّل ببتر خطوط المؤن، التي كانت تصل إليها عبر مصر وسوريا، بخاصة وأن الأخيرة قد وُجّهت بثقلها الاستراتيجي لتدعيم الجيش. فإذا بسكان الأقاليم الحجازية يعمدون إلى بيع أبواب ونوافذ بيوتهم لقاء رمق العيش. ممّا دفع بالشريف حسين إلى البحث عن بدائل قادرة على انتشال الحجاز من ضائقته الاقتصادية، فلم يجد سبيلًا أمامه سوى التقرّب من الإنكليز والتعاون معهم على إعلان الثورة العربية، بما مثّلته من خلاص قادر على منح المتنفّس السياسي التحرري، والاقتصادي للشريف حسين ومن سار خلف قافلته من قوميين عرب(**برو، 1989، 348 – 349**).

2. فيصل الأول يتقدّم الفرقة العسكرية المتجهة شمالًا

كان الأمير فيصل من أكثر الداعمين والمحفّزين على ضرورة التسريع في إطلاق نيران الثورة العربية. لا سيّما وأنه كان على احتكاك مباشر مع رعيل الحراك العربي الدمشقي، الذي ألهب تدافعه نحو الخلاص من الحكم الاتحادي، باستراتيجيته المطبّقة بإجحاف بحق العرب والتي أيقنها فيصل الأول. ممّا زاد في تباعده عن نظام الحكم القائم مقرّبًا خُطاه ناحية الجموع العربية الثورية(**أنطونيوس، 1987، ص 286**).

وعليه، اتجه الأمير فيصل الأول عشية إعلان الثورة العربية، داعيًا والده للتأثير على الحلفاء، ودفعهم إلى تجييش قواهم العسكرية البحرية عند سواحل بلاد الشام، وذلك للتأثير على معنويات القيادات العثمانية، وترهيبها مقابل تعزيز مواقع الثوّار وحثّهم على تأجيج نيران تمرّدهم(**سعيد، د.ت، مج 1، ص 133**).

كما أوعز فيصل إلى أخيه علي متفقًا معه على إعلان الثورة بتاريخ 5 حزيران (يونيو) عام 1916، حين تقدّم الشقيقان على رأس قوة عسكرية قوامها 1500 متطوّع، تجنّدوا رافعين راية الدعم والمؤازرة للشريف حسين، الذي أعلن ولداه فيصل وعلي الاستقلال عن

الدولة العثمانية باسمه. وتابع الجيش العربي زحفه بُعيد ما تمّ ترسيمه من خطط للقيام بالهجمات العسكرية. إذ اتُفق على أن يسير فيصل الأول على رأس الفرقة المتقدّمة ناحية الشمال[1] بغية تخريب سكة الحديد، والاتجاه ناحية الشمال الغربي(**موسى، 1986، ص 278 – 279**) عند ينبع[2]، متخذًا خطًا دفاعيًا بمواجهة القوات العثمانية ساعيًا إلى دحر تقدّمها واستيلائها على ينبع. وتابع سيره بدفع بريطاني[3] وتأييد من قبل الشريف حسين[4] للقيام بحملة لتحرير منطقة الوجه[5]، التي تمّت بتاريخ 24 كانون الثاني (يناير) عام 1917، بالتزامن مع مواصلة القوات العربية بقيادة فيصلية ضرب خط سكة الحديد، والتقدّم نحو تبوك. حتى أضحى الشريط الساحلي الحجازي واقع تحت السيطرة العربية العسكرية بعد تراجع العثمانيين عنه(**Lawrence، 1991، p. 119**).

أُتبع ذلك بزحف فيصل الأول على رأس قواته العسكرية ناحية العقبة[6]، في محاولة للاستحصال عليها عبر مد خطوط تقارب مع القبائل العربية المستقرّة في شمال الجزيرة العربية، والتي نجح فيصل في نسج صلات، جمعت بينه وبين شيوخها على قاعدة توحيد الصفوف بوجه العثمانيين. ولم يتوانَ فيصل أيضًا عن تأليب سكان جبل الدروز ودمشق

1 قُسّم الجيش العربي إلى عدّة أقسام هي التالية:
- القسم الأول: عسكر في الجهة الشمالية من الحجاز قاده الأمير فيصل بن الحسين بهدف التقدّم ناحية الشمال باتجاه سوريا.
- القسم الثاني: أطلق أعماله العسكرية الجنوبية الرامية إلى حصار المدينة المنوّرة والحيلولة دون وصول القوات العثمانية إلى مكّة. وقد تزعّم هذا القسم الأمير علي بن الحسين.
- القسم الثالث: قاده الأمير عبد الله بن الحسين في الجبهة الشرقية واستهدف القوات العثمانية المتقدّمة للهجوم على المدينة المنوّرة عبر قطع الطريق عليها من جهة الصحراء أو عبر سكة الحديد. (**برو، 1989، ص 353**).

2 **ينبع:** المركز الإداري لمحافظة ينبع، وهي واحدة من محافظات المدينة المنوّرة. تقع على ساحل البحر الأحمر، غربي المدينة المنوّرة. (**الشريف، 1984، ص 35**).

3 تدخّلت البحرية البريطانية غداة نقلها لخمسمائة متطوع من القبائل العربية، الذين نزلوا عبر السفن البريطانية على مقربة من منطقة الوجه. خلال مرحلة شهدت فيها المراكز العثمانية قصفًا بريطانيًا قامت به السفن الحربية. ممّا ساعد الجيش العربي على أسر رهط من الجنود الأتراك، وصل عددهم إلى ما يقارب الثمانين عسكري، فيما قُتل وجُرح عشرون آخرون. (**العمري، 1924، ج 2، ص 200**).

4 أطلق الشريف حسين أوامره لولده فيصل القائلة بالتقدّم العسكري نحو منطقة الوجه والانقضاض عليها بغية تحريرها من قبضة العثمانيين. (**Lawrence، 1991، p. 119 –121**)

5 **منطقة الوجه:** هي مركز محافظة الوجه التابعة لتبوك، والواقعة شمال غرب السعودية وتطل على ساحل البحر الأحمر. (**الشريف، 1984، ص 58**).

6 **العقبة:** هي مركز محافظة العقبة. تقع أقصى جنوب الأردن. وهي المدينة الساحلية الأردنية الوحيدة والتي تطلّ على ساحل البحر الأحمر. (**مجموعة مؤلفين، 2021، ص 10 – 11**).

ضد الحكم العثماني متعاونًا مع جهود لورانس([1]) التي تضاعفت في هذا المضمار. إذ عمد الأخير إلى لقاء علي رضا باشا الركابي وتسليمه كتاب من فيصل، يطلعه فيه على خطة الأمير الرامية إلى التقدّم ناحية العقبة، والسيطرة عليها طالبًا منه تعزيز نشاط الحراك العربي في دمشق، والرامي إلى التأثير على الجنود العرب المنخرطين في الجيش العثماني للانسحاب منه، والانضواء تحت راية قوات الثورة العربية الزاحفة نحو العقبة(**Lawrence،1991، p. 176 – 177**). وبناء عليه، اتجهت قوات فيصل شمالًا ونجحت في السيطرة على العقبة بتاريخ 6 تموز (يوليو) عام 1917. ممّا أتاح لفيصل نقل مركزه القيادي إليها، مواصلًا هجماته الحربية الهادفة إلى إرباك الجموع العسكرية العثمانية في المنطقة(**أرسكين، 1934، 30**).

3. جمال باشا يركن إلى حنكته لينسج خيوط صلح واهنة مع فيصل وقوات الجنرال اللنبي تزيد من مؤازرتها لجموع الفرقة العسكرية الفيصلية حتى لحظة دخولها إلى دمشق مظفرّة

ولمّا كان لهيب الثورة متأججًا، عمد جمال باشا إلى حنكته في سبيل إعادة بناء ما تهدّم من صلات مع الجموع العربية والصلح معها([2])، عبر إيعازه برسالة توجّه بها إلى فيصل بتاريخ 26 تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1917، حاول من خلالها فضح النوايا الحقيقية للحلفاء – الهادفة إلى تقاسم المشرق العربي فيما بينهم على أن تسيطر فرنسا على سوريا، ويتم إخضاع العراق للنفوذ البريطاني، مع وضع فلسطين تحت الإدارة الدولية– في خطوة هادفة إلى زرع بذور الشقاق بين الطرفين، علّ ذلك يساعد في تحقيق

---

1 **توماس إدوارد لورانس:** (1888 – 1935)، ضابط استخبارات بريطاني الجنسية مولود بتاريخ 15 آب (أغسطس) عام 1888، في قرية بتريمادوك التابعة لأقاليم ويلز. تابع تحصيله العلمي في مدرسة أوكسفورد ومن بعدها في كلية أوول سولز في أوكسفورد أيضًا. امتاز بالذكاء الحاد ومقدرة عالية على التذكّر. أدّى دورًا رياديًا في تنظيم الصلات البريطانية العربية، بخاصة وأنه سار في مهمة وُكّلت إليه مفادها ملازمة الأمير فيصل الأول بعد لقائه به الذي تمّ عام 1916. حتى أضحى في أعقاب ذلك ضمن الدائرة المقرّبة لفيصل الأول إلى أن أُطلق عليه مسمّى لورانس العرب. عاد إلى موطنه الأم عام 1935، ليُلاقي حتفه في حادث على درّاجته النارية أودى بحياته. (**Limieux، 1992، p. 130**)

2 كما استحضر جمال باشا في رسالته التي بعث بها إلى فيصل الأول شجاعة الأمير، ساعيًا إلى التودّد إليه، في محاولة أُتبعت بأخرى، لم تؤتَ ثمارها المرجوّة أيضًا عام 1918، بتأثير من الحسين الذي تعرّض للضغوطات على يد الإنكليز. ممّا دفعه إلى إطلاق تنبيهاته على مسامع إبنه فيصل، منددًا بأي مسعى للتوافق والجبهة التركية. وهكذا، ترك تطوّر الأوضاع العربية والدولية أثره في صلب العلاقة بين جمال باشا وفيصل الأول، على خلفية دور وأهداف كل منهما السياسية والاستراتيجية التي دفعت بقائد مسار التتريك إلى البحث عن موالي عربي له، من شأنه أن يقوّض الثورة والتمرّد الداخلي العربي قبل فوات الأوان. في حين كانت توجّهات فيصل الأول المفعمة عروبة وقومية رافضة لبطش جمال باشا، ومولّية أنظارها شطر القوى الكبرى، وعلى رأسها الإنكليز في محاول لانتزاع الاستقلال، ولو بالسيف من أيدي قادة إسطنبول. (**الغزالي، 1998، ص 217**).

تقارب فيصل لجهة العثمانيين، كخط رجعة بشروط صلح مقبولة من الجهتين. لكن تعنّت جمال باشا وبطشه في التعاطي مع الوطنيين بمن فيهم من أصدقاء مقرّبين من فيصل، قد زاد من عمق الهوة التي باعدت بينه وبين الأمير الحجازي الهاشمي، الذي ما كان ليضع يده بيد من أزهق دماء الوطنيين العرب(**موسى، 1973، ج1، ص 151**).

وعليه، لم تؤتَ محاولات العثمانيين للصلح مع العرب ثمارها، ولو أنها كانت سببًا في تسعير القلق بين قوات الجيش العربي، حول ما أماطت عنه اللثام من اتفاقيات سرية، دفعت بالشريف حسين إلى التساؤل لدى السّاسة الإنكليز حول ماهية صحّتها، إذ عمدوا إلى إنكار فحواها والتنصّل منها(**الغزالي، 1998، ص 217**).

انطلاقًا ممّا تقدّم، واصلت القوات العربية تقدّمها حتى الطفيلة([1]) بتاريخ 14 كانون الثاني (يناير) عام 1918 وتابعت زحفها في الجهة الجنوبية الغربية(**موسى، 1986، ص 310**). في هذه الأثناء كان تقدّم قوات الجنرال اللنبي([2]) الذي حوّل جيش فيصل الأول إلى فرقة يُمنى ضمن عسكره الممتد من يافا إلى أريحا، ممّا مثّل مؤازرة دفعت القوات الفيصلية إلى الأمام، بعد أن ناهز عددها الأربعة آلاف مقاتل ناهيك عن جموع العشائر والبدو، الذين انضمّوا إلى صفوفه بقيادة رعيل من الضباط الإنكليز المختارين من قبل اللنبي نفسه(**العمري، 1924، ج2، ص 216 – 217**). حيث وجّه الأخير تعليماته لقوات فيصل بوجوب الانقضاض على درعا([3])، لِما تمثّله من نقطة وصل جامعة بين خطوط المواصلات الحديدية الممتدة بين دمشق وفلسطين وشرقي الأردن. الأمر الذي قد يقطع الإمدادات عن الجيش العثماني ويضعفه تحضيرًا لهجوم اللنبي ضدّه(**موسى، 1986، ص 319**).

وبالتالي، انطلقت الهجمات العربية على درعا بدءًا من 14 أيلول (سبتمبر)، والتي وُفّقت في ضرب ثلاثة جسور للسكة الحديدية بين درعا ودمشق وفلسطين، كما تشابكت مع القوات العثمانية في عدّة مواضع الأمر الذي أدّى إلى ضعضعة الجيش العثماني وإنهاكه. خلال مرحلة كان فيها اللنبي مواصل هجومه بتاريخ 19 أيلول (سبتمبر) الأمر

1 **الطفيلة:** عاصمة محافظة الطفيلة وتقع في جنوب المملكة الأردنية الهاشمية. (**البحيري، 1998، ص 23**).
2 **أدموند اللنبي:** (1861 – 1936) ضابط وإداري بريطاني اشتُهر بدوره في الحرب العالمية الأولى بوصفه قائد القوة التي اتجهت للسيطرة على سوريا وفلسطين. (**الكيالي، 1994، ج 1، ص 50**).
3 **درعا:** مدينة سورية ومركز محافظة درعا تقع في الجنوب على الحدود السورية الأردنية. 13/11/2014(**درعا(.Aljazeera net/encyclopedia/**)

الذي دفع العثمانيين إلى التراجع عند درعا وسط تقدّم عربي منقطع النظير(**أرسكين، 1934، ص 31 – 32**). إذ كثّفت القوات العربية ضرباتها على خط سكة الحديد بين درعا ودمشق([1])، بالتزامن مع انضواء الحوارنة([2]) والدروز والعشائر البدوية إلى كنف القوات النظامية، ممّا شدّ من أزرها وساعدها على إحراز النصر عبر تحرير درعا ورفع العلم العربي فيها بتاريخ 27 أيلول (سبتمبر) (**داغر، 1987، ص 190**).

وقد أُتبع ذلك التقدّم بدخول الجيش العربي المتعاون مع القوات الإنكليزية إلى دمشق، في الأول من تشرين الأول (أكتوبر) عام 1918 والتي أعقبها بيومين وصول الأمير فيصل الأول، فاستُقبل استقبال المحرّر بخاصة وأن الجموع العربية كانت واثقة به وبنهجه المعتمد(**قاسمية، د. ت، ص 15 – 16**). تلى ذلك دخول فيصل إلى حمص في 14 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1918، ومن ثم إلى حماه في 16 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1918. وبذلك أضحت معظم الأقاليم السورية تحت إمرة بُعيد إعلان هدنة مودروس([3]) الموقعة بتاريخ 30 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1918، والتي أوقفت على أثرها المعارك العسكرية، التي دارت بين الحلفاء والعثمانيين في الشرق الأوسط إبّان الحرب العالمية الأولى(**مجموعة مؤلفين، 1992، ص 70**).

4. مساعي فيصل إبّان الثورة آتت أُكلها على وقع تشديد عُرى التقارب الفيصلي البريطاني

هدف فيصل من تفعيل دوره العسكري خلال المعارك الدائرة عربيًا ضد القوات العثمانية إلى تعزيز موقعه ما بعد الحرب بوصفه مدافعًا أمينًا مسموعة مطالبه بين الحلفاء الذين سيتوجّب عليهم الإيفاء بوعودهم المقطوعة مع العرب ومنحهم استقلالهم بخاصة وأنهم قد أدّوا ما استحقّ عليهم بحسب الاتفاقية المبرمة فيما بينهم وبين الإنكليز(**محمد،**

---

1 جيّش الإنكليز دفاعاتهم لجهة فيصل، الذي تقدّمت قواته بالتوازي مع تحرّكات لورانس، إذ عمد الأخير إلى قطع خطوط التواصل بين دمشق ودرعا، حتى فصلهما عن بعضهما البعض، خلال مرحلة تكثّفت فيها محادثات فيصل مع قادة الحراك الوطني، مدفوعًا من لورانس بغية التأثير عليهم، وحثّهم على تأييد المسار البريطاني القائل بمهاجمة العثمانيين. كما تابع لورانس تقدّمه حتى دخل دمشق عام 1918، والذي أُعقب بقدوم فيصل الأول إليها. وعليه، وصلت أعمال لورانس إلى خواتيمها المرجوة، حينها استأذن اللنبي للعودة إلى بريطانيا، وقد تمّت الموافقة على مطلبه. ليترك لورانس المشرق متجهًا إلى دارته البريطانية عام 1920، وينخرط في أعقاب ذلك في قوات السلاح الجوي. (**Stang، 2002، p. 2 –3**)

2 **الحوارنة:** قبيلة عربية أصولها من حوران المشتملة على الأقاليم الممتدة جنوب سوريا وشمالي الأردن. (**أبو فخر، 2005، ص 7**).

3 **هدنة مودروس:** وُقّعت عام 1918 بين الجانبين العثماني والبريطاني وهدفت إلى إنهاء المعارك القتالية في الشرق الأوسط والتي احتدمت بين العثمانيين والحلفاء في خضمّ الحرب العالمية الأولى. (**مجموعة مؤلفين، 1992، ص 70**).

1990، ص 49).

وبذلك، وصلت مهمة فيصل الأول في الثورة العربية إلى خواتيمها المرجوة بُعيد نجاحه في ترأس الجناح الشمالي للجيش العربي، الذي كان له إسهامات فاعلة وبارزة في انتزاع النصر من العثمانيين، وسط ميدان المعارك الحجازية أو الشامية على حد سواء. وقد دلّل الضبّاط الإنكليز الذي انضووا إلى لواء الثورة العربية بتميّز فيصل وخبراته العسكرية في إدارة المعارك الحربية وتحريك الجيوش بمهارة فذّة. حتى اللنبي نفسه أقرّ بفرادة فيصل بقوله: «إن فيصل كان يجمع بين حُسن القيادة العسكرية وبراعة السياسي الحذق... بعيد النظر، سريع الإقرار لِما يعرض له من أمور ووسائل، مخلص، صريح، جريء»(**أرسكين، 1934، ص 40**). فقد رأى الإنكليز في فيصل القابلية والجهوزية التامة التي دفعت بهم إلى توكيل مهمة تحريك الثورة، وقيادة جيشها، وإن لم يحمل أي لقب رسمي بذلك، لكن ذلك لم يمنعهم من التعاطي معه بوصفه قائدًا عامًا للقوات العربية الثورية(**الراوي، 1969، ص 119**).

سياسيًا، تعزّزت الصلات الجامعة بين فيصل الأول كبار السّاسة البريطانيين وقادة الجيش العراقيين الذين انخرطوا بصفوف الثورة العربية الكبرى. الأمر الذي خلّف تردّدات ستظهر لاحقًا بُعيد اعتلائه عرش العراق، ولا ريب أن الثورة العربية الكبرى قد منحت فيصل الأول الإمكانيات العملية لصقل تجربته القيادية العسكرية، كما ودوره في ترتيب قوات الجيش، وإعداده، والاحتكاك بالضباط، والتعرّف إلى توجهاتهم السياسية العامة(**ميداني، 1933، ص 68 – 69**).

ومن المفيد الإشارة إلى أن مسار التعاون الذي نُسجت خيوطه جامعة بين فيصل الأول والإنكليز قد تمّ إطار من التحالف الاستراتيجي، الذي فرضته حيثيات المنفعة القائمة بين الجانبين، وبقطع النظر عمّا أدّاه لورانس العرب من دور في تعزيز ذلك التلاقي، الذي دنا من خلاله فيصل نحو البريطانيين، دون أن يفقد أي من استقلاليته في التعاطي. بخاصة وأنه كان يجد في وضع يده بيد الإنكليز ضرورة أفضتها تطورات القضية العربية. ولو لم تكن الأمور كذلك، لَما أطلق فيصل مباحثاته مع جمال باشا عام 1918، حين أعلمه بمرامي العرب القصوى القائلة بالعيش أحرار، مبيّنًا الجهوزية التامة لوقف إطلاق النار، فيما لو تحقّقت أماني الأمة العربية(**ميداني، 1933، ص 71**). وما يؤكد على التوجهات

الفيصلية الآنفة الذكر، ما خرج على فاه لورانس نفسه، حين علّق على مسألة المباحثات السرية، التي جمعت بين فيصل وجمال باشا قائلًا لأحد أصدقائه:

«لقد جرت محادثات جادة بين فيصل وجمال طيلة سنة 1918. لقد اطلعت على رسائل الطرفين خلسة، وكان من المفروض أن أكون ساخطًا على فيصل بسبب ذلك، إلا أن إنكلترا نفسها كانت تتفاوض سرّيًا مع طلعت([1]) سنة 1918 كذلك وبدون إعلامي رسميًا عن الموضوع. إن كل شيء مباح في الحب والحرب والتحالفات»(**غارنت، 1988، ص 148**).

وبذلك، أظهر تتابع الأحداث أن ما تنبأ به لورانس([2]) قد تحقّق إبّان اجتماعه الأول بفيصل باعتباره الشخص المنشود الذي حطّ من أجله الرحال بحثًا عنه في الجزيرة العربية، وبأنه القادر على تزعّم الحراك الثوري العربي نحو النصر بوجه الإدارة العثمانية.(**Murphy، 2008، p. 13 – 14**).

وهكذا، تركت مرحلة الثورة العربية الكبرى ترسّباتها راسخة في شخصية فيصل الأول، التي اكتنزت الدروس القيّمة في حقل التجارب السياسية، والدبلوماسية الدولية حتى إذا به يزدان قوة في تجميع الداعمين، وتأليف القلوب فيما بينهم بكثير من العزيمة والصلادة، التي تبدّت جليًّا إبّان حكمه القصير لسوريا، وغداة وجوده في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس (**Lawrence، 1991، p. 92**).

5. في تحليل الثورة وإيجابياتها

تعدّدت الرؤى التي تباحثت وحلّلت الثورة العربية الكبرى، فمنهم من رأى فيها انتصارًا لمسار القومية العربية، الذي كان ينبض وسط الحراك الوطني العربي ضد سياسة الاتحاديين(**موسى، 1986، ص 556**)، المتهاوية قيادتها إبّان الصراع الدولي المحتدم معاركه خلال الحرب العالمية، الأولى التي توقفت عملياتها القتالية بتاريخ 11 تشرين

1 طلعت الوارد ذكره في رسالة لورانس الآنفة الذكر ما هو إلا الدبلوماسي الزعيم الاتحادي الذي تبوأ كرسي وزارة الداخلية في الحكومة الاتحادية إبّان الحرب العالمية الأولى. (**غارنت، 1988، ص 148**).

2 بعد أن توجّه لورانس إلى الجزيرة العربية بدفع من القيادة البريطانية التي عزمت أمرها على إرساله للبحث في حيثيات الثورة العربية ضد الحكم العثماني والتي ترأّسها الحسين بن علي. وعليه، توغّل لورانس داخل الجزيرة العربية بترخيص مُنح له من قبل عبد الله بن الحسين وحماية أمّنها له أخوه علي، حتى تمكّن لورانس من القيام بمهمّته وهو مرتدي اللباس العربي التقليدي وبلسان عربي حلبي اللهجة. وفي رحلة بحثه عن القيادة العربية الأكثر تناسبًا مع تطور الأحداث، لم يجد لورانس في عبد الله بن الحسين ضالّته، التي عثر عليه في فيصل الأول بوصفه الممتلك لصفات القيادة المرجوة بريطانيًا (**Murphy، 2008، p. 13**)..

الثاني (نوفمبر) عام 1918- إذ قُدّر للجيش العربي المتعاون مع الإنكليز بمواجهة العثمانيين أن يكبّدهم جملة من الخسائر البشرية، التي وصلت إلى ما يقارب 4800 قتيل، و1600 جريح، و800 أسير(**برح، 2010، ص 214**)-. في حين وضع آخرون الثورة في مصاف العوامل، التي قِيدت ضد الخلافة الإسلامية، فكانت تبعاتها دمارًا وتجزئة للأمة العربية، على وقع التحالف العربي الذي ضمّ أهم قادة في الحجاز مع الجانب الإنكليزي(**شهاب، 1995، ص15**). لكن كثرة الإسقاطات التي طالت حيثيات الثورة العربية لا يمكنها أن تنكر غدر الإنكليز وإيقاعهم بحليفهم الحسين. ففي الوقت الذي كانت فيه المباحثات قائمة بين الشريف حسين ومكماهون، كان التعاون الوثيق أطره بين البريطانيين والفرنسيين متجلّي في اتفاقية سايكس – بيكو([1])، التي أطاحت الأماني العربية من حساباتها ووضعتها في مهملات التاريخ، وقدّمت عليها أطماعها الاستعمارية(**ولسن، 2000، ص 56**). وعليه، فإن مراوغة الإنكليز في التعامل مع العرب كان في صلب نجاح خططهم التي غفل عنها الشريف حسين، راجيًا لمساعيه القومية العربية الصمود، دون جدوى أمام تخبّطات السياسة الدولية بُعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى، والتي خرج منها الحلفاء منتصرين فارضين نهجهم الدبلوماسي في التعاطي مع الجانب المنهزم في تلك الآونة(**المهتدي، 2003، ص 158**).

وعلى الضفة المقابلة، لا يمكن إلا تبيان إيجابيات الثورة العربية الكبرى، التي تفتّحت معها القومية العربية واكتسبت قضية العرب بُعدًا دوليًا، وشرعية نادى بها أهم رجالات السياسة في تلك المرحلة، وفي مقدّمتهم الأمير فيصل البوق الداعم للعرب ومطالبهم وسط المحافل الدولية. ممّا مهّد السُبل لتتحوّل العروبة من مجرّد فكرة لامست أذهان القوميين إلى عقيدة حيّة تسير في عروقهم، وتضجّ بثورة ضد أي معتدي أو مستعمر كاتم لأنفاس الحرية فيهم(**الخالدي، 2000، ص 305 – 307**).

استنتاج

اطلع فيصل إبّان الثورة العربية الكبرى بأدوار تفرّعت في منحاها بين ما هو دبلوماسي، تعاطى من خلاله مع قيادات الدولة العثمانية من جهة، وزعماء الحراك القومي العربي

1 **اتفاقية سايكس – بيكو:** اتفاقية وُقّعت بسرية بين المملكة المتحدة وفرنسا وصادق عليها الروس والإيطاليون، بغية التوصل إلى صيغة توافقية حول تقاسم أقاليم الهلال الخصيب، كما وترسيم مناطق النفوذ في غرب آسيا الذي كان في عهدة العثمانيين. (**لوتسكي، 1980، ص 460 – 470**).

من جهة أخرى، وبين ما هو عسكري تحدّد بوصفه قائدًا للفرقة العسكرية المتجهة شمالًا، بدعم بريطاني تمثّل بإرسال الإنكليز لقواتهم الحربية مؤازرة للأسراب العربية العسكرية، التي نجعت بقيادة فيصل من الدخول إلى دمشق، مدعومًا من لورانس بما مثّله الأخير من انعكاس واضح للتوغّل البريطاني في المنطقة المشرقية، ومسعاه إلى قلب الوقائع لصالح الحلفاء في خضم معارك الحرب العالمية الأولى. وهكذا احتمل النصر الفيصلي ترسيخًا مرحليًا للحقوق العربية القائلة بالاستقلال، والوحدة، وانتصارًا لأهداف القومية العربية، مهما تعدّدت الترجيحات، ومهما اختلفت وجهات النظر التي اختصّت الثورة وسعت إلى تحليل مقاصدها.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا المصادر والمراجع العربية

1. المذكرّات:

- بن الحسين، عبد الله: (1947)، **مذكرات الملك عبد الله**، ط2، منشورات مجلة الرائد، عمّان.
- داغر، أسعد: (2020)، **مذكراتي على هامش القضية العربية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- الراوي، ابراهيم: (1969)، **من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث – ذكريات**، مطبعة دار الكتب، بيروت.
- **المصادر :**
- أنطونيوس، جورج: (1987)، **يقظة العرب**، ترجمة نصر الدين أسد وإحسان عباس، ط 8، دار العلم للملايين، بيروت.
- سعيد، أمين: (د.ت)، **الثورة العربية الكبرى**، مج 1، مكتبة مدبولي، القاهرة.

المراجع:

- أبو فخر، فندي: (2005)، **خليل رفعت الحوراني – تاريخ حوران**، اتحاد كتّاب العرب، دمشق.
- البحيري، صلاح الدين: (1998)، **الأردن: دراسة جغرافية**، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمّان.
- برح، محمد عبد الرحمن: (2010)، **التاريخ العربي الحديث والمعاصر**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية.
- برو، توفيق: (1989)، **القضية العربية في الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918**، ط 1، دار طلاس، دمشق.

- الخالدي، محمد فاروق: (2000)، **المؤامرة الكبرى على بلاد الشام**، ط1، دار الراوي، الدمام.
- الشريف، عبد الرحمن صادق: (1984)، **جغرافية المملكة العربية السعودية**، دار المريخ، الرياض.
- شهاب، أسامة: (1995)، **الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي**، المكتبة الوطنية، عمّان.
- العمري، محمد طاهر: (1924)، **تاريخ مقدرات العراق السياسية**، ج 2، مطبعة الفلاح، بغداد.
- الغزالي، محمد: (1998)، **حقيقة القومية العربية**، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة.
- قاسمية، خيرية: (د. ت)، **مواضيع في التاريخ العربي الحديث من نهاية الحكم العثماني حتى بداية القرن الواحد والعشرين**، شبكة المعارف، دمشق.
- قلعجي، قدري: (1994)، **الثورة العربية الكبرى 1916 – 1925**، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.
- الكيالي، عبد الوهاب: (1994)، **موسوعة السياسة**، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- مجموعة مؤلفين: (1992)، **دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر**، لا ناشر، الموصل.
- _____: (2021)، **العقبة – مدينة منعة بأحيائها**، منتدى الأعمال الهندسي، عمّان.
- محمد، علاء جاسم: (1990)، **الملك فيصل الأول – حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسورية والعراق 1883 – 1933**، مطبعة الخلود، بغداد.
- المهتدي، عبلة: (2003)، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- موسى، سليمان: (1973)، **المراسلات التاريخية 1914 – 1918**، ج 1، لا ناشر، عمّان.
- _____: (1986)، **الحركة العربية 1908 – 1924**، دار النهار، بيروت.
- ميداني، محي الدين: (1933)، **الثورة العربية على الدولة العثمانية**، لا ناشر، بيروت.

ثانيًا المصادر والمراجع المترجمة:

المذكّرات المترجمة:

- جمال باشا السفاح: (1963)، **مذكرات جمال باشا السفاح**، ترجمة علي أحمد شكري، دار البصري، بغداد.

المراجع المترجمة:

- أرسكين، ستورث: (1934)، **فيصل ملك العراق**، ترجمة عمر أبو النصر، مطبوعات المكتبة الأهلية، بيروت.
- دي غوري، جيرالد: (1983)، **ثلاثة ملوك في بغداد**، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة الرشاد،

بغداد.

- غارنت، ديفيد: (1988)، **مختارات من رسائل لورانس**، ترجمة عبد المنعم الناصر، لا ناشر، بغداد.
- لوتسكي: (1980)، **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، ترجمة عفيف البستاني، ط 7، دار الفارابي، بيروت.
- ولسن، ماري: (2000)، **عبد الله وشرق الأردن بين بريطانيا والصهيونية**، ترجمة فضل الجرّاح، ط 1، شركة القدس للنشر، بيروت.

ثالثًا: المصادر والمراجع باللغة الإنكليزية

1. المصادر باللغة الإنكليزية

- T. E. Lawrence: (1991)، **Seven Pillars of Wisdom**، Anchor Books، Florida.

2. المراجع باللغة الإنكليزية

- Murphy، David: (2008)، **The Arab Revolt**، Asprey Publishing، London

-Stang، Charles M.: (2002)، **The Waking dream of T. E. Laurence**، Palgrave Macmilan، London.

رابعًا: المراجع باللغة الفرنسية:

-Michel Limieux: (1992)، **Voyage au levant de Laurence d'Arabie a René Léresque**، Septentrion، Québec

خامسًا: المواقع الإلكترونية:

(Aljazeera.net/encyclopedia/ - (درعا13/11/2014